

## رمزيّات مزدحمة.. قراءة فى مقتل سليمانى وجنازته



يستحضّر مقتل قائد الحرس الثورى الإيرانيّ قاسم سليمانى والإشارات والتحليلات التى أثارها الباحث الإيرانيّ ولي نصر فى كتابه "صحوة الشيعة"، والذى خصّصه لرصد آثار الصراعات الطائفية فى رسم مستقبل المنطقة، حيث أكد فيه على أن صعود المدّ الشيعيّ إثر احتلال العراق سيكون بدايةً لتنافس محمودٍ على توسيع مناطق النفوذ الإيرانيّة فى المنطقة، وهو ما تحقق لاحقًا من خلال الأذرع الإيرانيّة والميليشيات الموالية لها التى باتت تحكم اليمن ولبنان وتتغلغل فى أجهزة النظام السوريّ وجغرافية سيطرته فى سورية.

هذا المدخل المهمّ الذى ذكره نصر يذكّرنا بسعي الآلة الإعلامية الإيرانية المحموم طوال سنوات الثورة السورية لاستحضار رمزيّات الطائفة الشيعية، مبرّرًا ومسوّغًا فى استمرار حملاتها العسكرية الداعمة للنظام السوريّ وسبيلًا فعّالًا لتجنيد المزيد من أبناء الطوائف الشيعية فى الميليشيات التى تدعمها فى سورية والعراق ولبنان واليمن، حيث يعزز الإعلام الإيرانيّ حضور المقاتل والقتيل الشيعيّ فى سورية باعتبارها "مدافعًا عن الضريح" أي ضريح السيدة زينب "المقدّسة" فى دمشق.

فى الحادى عشر من آب/أغسطس عام 2017 أصدر تنظيم الدولة فى سورية تسجيلًا مصوّرًا يظهر عملية إعدام "محسن حججى" أحد القادة الميدانيين فى الحرس الثورى الإيرانيّ إثر أسره قرب معبر الوليد الحدودى، وقد صرّح الإعلام الإيرانيّ حينها بأوصاف كثيرة للقتيل إلا أن أبرزها كان وصفه بـ "المدافع عن مرقد أهل البيت". وههنا يجدر ذكر تأكيدات قاسم سليمانى على مقام حججى العالى عند الله حين قال فيه: "من أجل تمجيد أهمية مسألة معينة، يخلق الله أحيانًا حادثة ما [..] لقد كان استشهاد حججى بمثابة تمجيد للتضحيات فى سبيل الدفاع عن المقامات الشيعية المقدّسة".

كان التكريم الرمزيّ حينها لحججى متممًا بانتشار صورة مرسومة له ومن خلفه قاتله الذى قطع رأسه،

بينما رُسمت أمامه صورة تعبيرية للحسين بن عليّ وعن يمينه أخته زينب واقفان فى استقباله حيث يفتح الحسين يديه لضمّ حججى إلى صدره دون أن يكون له رأس فى استحضار مرگزّ للشبه بين الحسين مقطوع الرأس وحججى الذى أعدمه "أعداء الحسين" بقطع رأسه.



استقبال "سليمانى": الارتقاء إلى رتبة الحسين

تكرّر استحضار صورة الحسين المستقبل شهداء "الضريح" عدة مرات فى الإعلام الإيرانىّ إلا أن الصورة التى نشرها حساب خامنئى على موقع المرشد العام الرسمىّ إثر مقتل سليمانى كانت أقوى حضوراً وتأثيراً فى الوعي الشعبى الشيعىّ حيث تظهر الصورة احتضان الحسين بن عليّ لقاسم سليمانى الملتخ بالدماء بعد ساعات من مقتله مذيلاً الصورة بالتعليق الآتى:

"ها قد حلق لواء الإسلام العظيم شامخ القامة إلى السماوات، لقد عانقت ليلة أمس أرواح الشهداء الطيبة روح قاسم سليمانى الطاهرة، إنّ سنوات من الجهاد الخالص والشجاع فى ساحات مقارعة شياطين وأشرار العالم، وأعوام من تمّى الشهادة فى سبيل الله بلغت أخيراً سليمانى العزيز هذه المنزلة الرفيعة إذ سُفكت دماؤه الطاهرة على يد أشقى أفراد البشر على وجه الأرض.

إنّني أتقدّم بأسمى آيات التبريك لصاحب العصر والزّمان بقيّة الله الأعظم -أرواحنا فداه- ولروحه الطاهرة وأعزّي الشعب الإيرانى"



وهنا لا بد من التوقف عند ربط هذه الصورة بالصورة التي نشرها الإعلام الإيراني، حيث يستقبل الحسين قاسم سليمانى مرتدياً عمامته الخضراء ذات الريشتين والتي "قتل فيها" وخلف سليمانى مجموعة من القتلى "الشيعة" الذين ماتوا أو قتلوا قبل سليمانى.

يؤكد حضور هذه الأيقونات الشيعية على حركة الاستحضار الشيعي للرموز التاريخية في تعيد إنتاج الأيقونة بشكل مستمر بحسب العوامل والمؤثرات المحيطة بالتوازي مع حضور الرسائل التي تريد السلطة الشيعية الدينية الحاكمة -مؤسسة ولاية الفقيه- إرسالها.

يشهد حضور الرمز أو الأيقونة في الفن الديني الشيعي مستويان من التوجيه، أولهما "مادي" يستهدف

إفهام المتديّن بالطقوس والشعائر والمعانى الفكرية والثقافية، بينما يصاغ التوجيه الثانى لإنشاء الطقوس المستمرة وأساليب الحياة وقواعد التعامل التى تعبّر عن روح الجماعة، ولذا فإن حضور هذه الرموز فى تشييع سليمانى -باعتباره قائداً ملهماً ومقرّباً من مؤسسة المرشد- يوضّح مدى الترابط الناجح فى الدعاية الإيرانية التى تجعل من الرمز الدينى خطاً يتوازن فيه الجانب المادى والمعنويّ وباباً -معرفياً- لفهم روح "الجماعة" التى تستهدفها تلك الدعاية.

يعرّف عن الوليّ الفقيه وصوله لرتبة الاجتهاد المطلق؛ ولذا فإنه يُعامل معاملة الإمام المعصوم، ومن ثمّ فإنّ حضور قاسم سليمانى بهذا المستوى من الاستقبال والعناق مع الحسين -رمز الشهادة والعصمة- تضفى عليه رتبة عالية من التقديس وتستحضر أقسى واقعة دموية تؤسس لمظلومية الشيعة تاريخياً؛ الأمر الذى قابله مشيّعو سليمانى برفع الراية الحمراء التى تستحضر رايات حركة التّوايين التى رفعها المختار الثقفى وأتباعه للمطالبة بئثار الحسين، كما أنها فى الآن ذاته تشير إلى ارتقاء سليمانى لمصاف الأئمة المعصومين حيث تساوى قصّة شهادته شهادة الحسين فى واقعة كربلاء، وقد عزّز هذا الترميز حضور صوّر يد سليمانى المقطوعة الكثيف فى تذكير مستمرّ وواضح بيد أبى الفضل العباس التى قطعت يده فى الموقعة ذاتها.

انطلقت مسيرات التشييع الغفيرة والمليونية فى أهم المّدن العراقية والإيرانية مثل بغداد وكربلاء والنجف والأحواز وقم ومشهد وكرمان -مسقط رأس سليمانى- التى شهدت حالة تدافع فى جنازته راح ضحيتها سقوط عشرات القتلى والجرحى مما يشير إلى نجاح النظام الإيراني بتحويل سليمانى من رتبة عسكرية ترأس مؤسسة عسكرية إلى رتبة دينية مقدّسة يتدافع الناس لتشيعها والتبرّك بنعشها.

زينب الباحثة عن الثأر

كان التركيز الأبرز من بين أولاد سليمانى على ابنته زينب التى خاطبت الرئيس الإيراني حسن روحانى بإصرار بقولها: من سينتقم لمقتل أبى؟

ويزداد التركيز بشكل أوضح عندما تقف زينب لتلقى كلمة أسرتها أثناء تشييع والدها لتطال بالثأر، فى تعمد واضح لاستحضار مشهد زينب بنت عليّ وهى تخطب أمام يزيد بن معاوية وتهجوه وتتعهد بالثأر وإزالة دولته وإنهاء حكمه، وهو الأمر ذاته الذى تعمدت قصده زينب بنت سليمانى حين خاطبت آلاف المصلين حاملةً سلاحها تتعهد بالثأر لمقتل والدها وتتوعد الرئيس الأمريكى والدول التى تستهدف إيران بأيام سوداء.

لقد شكّلت حادثة اغتيال سليمانى ميداناً لإظهار مدى القدرة على الحركة والانتقال داخل النظام الرمزيّ للتصاوير الشيعية واستغلال أنماطها وإشاراتها المختلفة لدعم توجهات المؤسسة الدينية الحاكمة فى إيران، عبر تحويل هذه الرموز من رموز دينية إلى رموز مقاصدية، وهو ما أظهرته الاستحضارات المتكررة والمختلفة فى وسائل الإعلام الإيرانية فى إطار رسائلها المتعمّدة فى تصوير رتبة الشهادة التى نالها سليمانى وما تلا ذلك من تشييع شعبي وحضور لابنته فى خطاب التأبين الخاص بدفنه.